الاتجاهات الاجتماعية الحديثة

لحضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل
وزير المعارف والشؤون الاجتماعية[1]

سيداتى ، سادتى :

اليوم تفتتح الجامعة الأمريكية موسم محاضراتها هذا العام ، وقد دعانى مستر كليلاند رئيس قسم الخدمة العامة بها لألقى هذه الكلمة ، وإنى لسعيد بتلبية هذه الدعوة الكريمة ، شاكرا للجامعة الأمريكية أن أتاحت لى فرصة الوقوف بينكم ، والتحدث إليكم من فوق هذا المنبر الذى طالما حدثت جمهور المستمعين منه فى مناسبات مختلفة وأنا أعظم سعادة لأن صديقى الأستاذ محمد المشاوى بك نائب الرئيس لرابطة الإصلاح الاجتماعى ، والقائم فعلا بكل أعمال الرابطة ، سيكون أول محاضر فى هذا الموسم ، وسيخطبكم من بعدى فى هذا الاجتماع. وكلمتى عن الاتجاهات الاجتماعية الحديثة قصيرة وإن كان موضوع هذه الاتجاهات فسيحا ، بدليل أن المحاضرات التى ستلقى فى هذا الموسم تتصل كلها بهذا الموضوع أوثق اتصال . بل إن السياسة العالمية فى عصرنا الحديث إنما هى سياسة اجتماعية أكثر منها أى شىء آخر . فقد أصبحت العناية بالفرد من يوم مولده إلى ختام حياته موضع العناية الكبرى فى كل مجتمع إنسانى ، وأصبح مستوى العيش ، ومستوى الأخلاق ، ومستوى الثقافة ، ومستوى الصحة العامة ، مما تعنى به كل أمة من الأمم وكل حكومة من الحكومات على ما قد يكون بينها من اختلافات فى نظم الحكم ، ومن تباين فى تصوير أغراض الحياة والعناية بمستوى العيش والأخلاق وبالثقافة وبالصحة العامة. تزداد كل يوم عن اليوم الذى سبقه — لأن الناس فى الأمم كلها يزدادون شعورا بالتضامن الاجتماعى الذى يربط بينهم — فيزيد ذلك تقديرهم لمعانى العدالة الاجتماعية سموا وجلالا .

وهذا اتجاه جديد كان الناس يتحدثون عنه فى القرن الماضى وفى أوائل هذا القرن على أنه حيال يدور بخلد الأقلين ، لا على أنه واقع احتاط بالعقائد العامة وصار بعض ما ينظمه القانون .

نعم ، أيها السادة ، فقد كان الاتجاه فى القرن الماضى وفى أوائل هذا القرن متأثرا بمبادئ الفردية الاقتصادية أشد التأثر فيمكن الفرد على الجماعة من الحقوق إلا أن تمحى حريته الفردية من الاعتداء عليها ، وبذلك كانت وظيفة الحكومة مقصورة على المحافظة على الأمن

---

(١) الكلمة التى افتتح بها معاليه موسم محاضرات الاجتماعية هذا العام .

والنظام أما فيما وراء ذلك فقد كان كل فرد متروكا لحظه ولم يكن له على الحكومة أى حق خاص أو عام فإذا تحركت قلوب المحسنين لشقوة البؤساء ، فرأوا أن يمدوا إليهم يد المعونة كان ذلك إحساسا منهم يشكرون عليه ولم يكن حقا عليهم أو على غيرهم يطالبون به. وفى حدود هذه الحرية الفردية المطلقة كانت علاقات الناس فى حياتهم قائمة على التعاقد الحر فيما بينهم ولم يكن أحد يفكر فى أن هذا التعاقد يصبح مشوبا إذا عقد بين قوى وضعيف أو بين قادر وعاجز ، بل كانت هذه الحرية المطلقة معتبرة ملاك النظام القائم يومئذ وقد ترتب على النظام أن ترك ملايين من الناس لا يتعلمون ولا يعنى بصحتهم . ولا بثقافتهم ولا بأخلاقهم . إلا بقدر ما تتحرك قلوب المحسنين على بعضهم .

وقد حركت مظاهر الشقوة والبؤس التى فشت بسبب هذا النظام كثيرين من الكتاب لتصوير ما يرون من ذلك والتماس العلاج له علاجا اجتماعيا عاما ، وكان تعميم التعليم فى مراحله الأولى أول ما عنيت بعض الحكومات به فى النصف الثانى من القرن الماضى . وأقول بعض الحكومات لأن أكثر الحكومات لم تتحرك فى هذا الاتجاه إلا فى أواخر ذلك القرن وبقى بعضها لا يتحرك نحوه إلا متأخرا .

هذا الاتجاه الذى ساد القرن الأخير وأوائل هذا القرن قد تغير الآن تغيرا تاما . وللحرب الكبرى الماضية فضل كبير فى تغييره. فقد قربت تلك الحرب بين الشعوب ، وبين الطبقات المختلفة فى الشعب الواحد ، وقد نشأت بسببها اختراعات كثيرة ، زادت الشعوب قربا بعضها من بعض بما يسرت من أسباب الاتصال والانتقال . هذا الى أن ما حدث من ازدياد الصناعات الكبرى صحامة قد ربط بين أرباب هذه الصناعات والعاملين فيها ، وجعلهم أكثر شعورا بما بينهم من تضامن يجعل لهم حقوقا ، ويفرض عليهم واجبات لم يكن معترفا بها من قبل . بذلك بدأ الاتجاه الجديد فى الحياة الاجتماعية الذى يعتبر خلاصة ما تقدم من المبادئ والآراء قبل تلك الحرب الى حيز التحقيق والعمل .

وهذه الحرب الحاضرة أكبر أثرا فى تقوية هذا الاتجاه وتعزيزه من الحرب الماضية. ذلك بأن أسباب الاتصال والانتقال أصبحت أيسر وأعظم ، وبأن الأمم أصبحت أكثر شعورا بالحاجة الى التعاون فيما بينها ليستقر فى العالم عهد أخاء ورخاء وسلام وهذا الشعور الذى أنشأه تزيد ارتباط الأمم واتصالها وسهولة التنقل فيما بينها قد جعل الأمم كلها تعنى بهذه الاتجاهات الاجتماعية ، والتى كانت تعتبر بذلك متأخرة فى نظر الأمم المتحضارة تعمل جاهدة لتسرع الخطى حتى تلحق بالأمم الأخرى فى هذا المضمار ، ومن هذا

النشاط الاجتماعى هو ملاك الرقى والتقدم ، وهو الذى يرقى بها لتكون محترمة فى نظر الأمم كلها كبيرها وصغيرها ، قويها وضعيفها .

إلى أى ناحية تتطلع هذه الاتجاهات الحديثة ؟ هى تتجه فى مجموعها الى تقوية ذاتية للفرد وانسانيته ، مع المحافظة على حريته وكرامته . صحيح أن التجارب الاجتماعية دلت على أن هذه التقوية لن تصل الى التسوية بين الناس فى حظوظهم وملكاتهم . فهم يتفاوتون فى قواهم العقلية والروحية ، وفى مواهبهم العلمية والفنية اختلافهم فى قوتهم الجسدية . ومع هذا الاختلاف فمن خير الجمعية أن تقوى فى الفرد كل ضعف الى أقصى ما يستطيع هذا الفرد أن يصل اليه من القوة ، كما أن من خيرها أن تقوى أجسام الضعفاء ليكونوا أقوى على الإنتاج لخيرهم الفردى والخير العام .

ووسائل تقوية الضعف كثيرة . وعلاج ناحية من نواحى الضعف يفيد الفرد ويفيد المجموع فى سائر نواحى الحياة .

ولهذا تقتصر فائدة الألعاب الرياضية مثلا على تقوية الجسم ، بل ان لها لأثرا أكبر الأثر فى تقويم الأخلاق إذا هى نظمت على نحو علمى سليم .

كذلك لا تقتصر فائدة التثقيف العام على التسلية أو على توسيع مدارك الفرد ، بل ان لها لأثرا أكبر الأثر فى توثيق ما بين الناس من أسباب التفاهم والتضامن .

والاتجاهات الاجتماعية الحديثة تأخذ بيد الفرد من أول حياته كما قدمت . ذلك لان العناية بالحضانة وبالطفولة الأولى لها أكبر الأثر فى توجيه الطفل فى مستقبل حياته . ولها كذلك أثر أى أثر على البيئة المحيطة بالعمل .

فاذا تخطى الفرد مرحلة الطفولة إلى الصبا ، وأصبح قادرا على العمل ، كان تمكينه من العمل الذى يحسنه ، ومعاونته على المزيد من اتقانه ، ورفع ذى الموهبة الى اظهار موهبته ، مما يزيد فى إعزاز الفرد بنفسه ، واحترامه ذاته ، كما يزيد فى الانتاج للخير العام .

فاذا اطمأن الفرد الى أنه متى بلغ سن التقاعد وجد من التأمين الاجتماعى ما يجنبه شقوة العجز والمرض ، كان ذلك حافزا له فى سن انتاجه على مضاعفة هذا الانتاج ، ليكون أوفر حظا من التأمين ، وأكثر طمأنينة لأيام شيخوخته أو عجزه .

أخشى أن تدعونى هذه الأمثلة الى الدخول فى تفصيل ليست هذه الكلمة موضعه . فسيتناوله المحاضرون من بعد فى محاضراتهم كل على النحو الذى يراه .

وكل ما أريد أن أقوله أن الاتجاهات الاجتماعية الحديثة متعددة النواحي متحدة الغرض. وغرضها في مجموعها ما قدمت من تقوية ذاتية الفرد وانسانيته مع المحافظة على حريته وكرامته فكل ما يؤدي الى هذا الغرض يدخل في هذه الاتجاهات ويحقق غايتها .

وانما أدى بالأمم الى هذه الاتجاهات إقتناعها بأن ثروتها الحقيقية ليست في مواردها الطبيعية والاقتصادية ، بل في القوى التي تستغل هذه الموارد ، وفي الكفايات الانسانية التي لا تظهر في عنوان كمالها إلا اذا عنى كل فرد في صحته وفي ثقافته وفي أخلاقه فاستطاع أن يبلغ من القوة الذاتية غاية ما تؤهله له الملكات الكمينة فيه . لقد بقيت موارد الأمم الطبيعية والاقتصادية القرون وعشرات القرون دفينة لا ينتفع أحد بثمراتها ، فلما ارتقى التهذيب بالأفراد والجماعات وقوى ذاتيتهم تصاعفت ثروة الأمم التي توجد هذه الموارد فيها فبلغت من الحضارة ذروتها وتحققت مبادىء التضامن والعدالة الاجتماعية بين أبنائها فاستفادوا وفادوا الانسانية كلها أعظم الفائدة .

أكتفي بهذه الكلمة وأكرر الشكر للجامعة الأمريكية ولقسم الخامة للعامة بها وأترك مكاني لصديقي العشماوي بك . ولا أشك في أن حديثه عما يرجى أن يشهده العالم في العصر الجديد من الاصلاحات الاجتماعية سيفتح آفاقا في التفكير جديدة . فهو رجل مارس الاصلاح الاجتماعي سنين طويلة ومارسه بنجاح يجعله يتحدث عنه حديث العالم الخبير .

وأشكركم . سيداتي وسادتي لحسن استماعكم لهذه الكلمة . وأرجو لكل مخلص في العمل لخير أمته ولخير الانسانية للتوفيق والنجاح .

دكتور
محمد حسين هيكل

كما أن شخصية الفرد هي الشرط لوجود العمل ولنجاحه في الحياة الحديثة ، لأنها مناط الثقة به ولصلاحيته لتأليف مجموع عامل مفيد ، كذلك شخصية الأمة هي الأساس الأول لرقيها بوصف أنها أمة ، لأن شخصيتها هي أساس احترامها في عين غيرها . ومجمع حفائظها القومية وعقد عاداتها وأخلاقها . وبالجملة هو مجموع مقوماتها بوصف أنها كائن طبيعي حي مستقبل بوجوده عما عداه .

أحمد لطفي السيد باشا